## الفصل السادس والعشرون بعد المئة

# الفلسفة والحكمة

أما مؤلفات في العلوم والفلسفة ، منقولة عن اليونانية أو اللاتينية الى العربية ، فلا أدري أن أحداً من أهل الأخبار ذكر وجودها عندهم بلغة بني إرم ، أو بلغة اليونان ، ذلك لأن المثقفين وأصحاب الرأي والعزم كانوا على اتصال بالعالم الخارجي ، وكانوا يدارسون الأعاجم ويأخذون عنهم ، وقد درس بعضهم في مدارس الفرس والعراق وبلاد الشأم،ولغة الدراسة في تلك البلاد السريانية واليونانية والفارسية ، فلا يستغرب أن يكون مِنْ هؤلاء مَنْ درس بلغة من هذه اللغات في الحجاز أو في اليمن . أما في بلاد العراق وبلاد الشأم ، فالأمر لا يحتاج فيها الى نظر ، فقد رأينا أن عربها أسهموا في الحركة العلمية قبل الاسلام لكنهم أسهموا بلغة السريان ، لا باللغة العربية ؛ لأن العربية لم تكن عربية واحدة يومئذ ، وانما كانت جملة لهجات ، ثم إنها كلها ، لم تكن قد وصلت الى درجة من الاستعمال والانتشار تجعلها لغة للترجمة والتأليف .

### الحكمة :

وأما (الحكمة) ، فقد ذكر أهل الأخبار أمثلة عديدة منها زعموا انها لحكماء جاهليين ، أوردوا أسماءهم ، ولكنهم لم يفيضوا في بيان سيرهم وتراجم حياتهم،

بعض ما نسب اليهم سجع قصير ، وبعضه كلام منظوم وبعضه مثلٌ زعم انهم ضربوه فسار بين الناس .

. وقد اشتهر الشرق بالحكمة ، وهو ما زال على حبـه لهـا باعتبارها أداة للتعليم والتثقيف . والحكيم ، هو ( حكيمو ) Hakimo في الإرمية ، بمعنى عالم[1] . ونرى في التوراة اصحاحات مثل : الأمثال وأيوب ونشيد الأنشاد وغيرها ، ملئت حكمة . والحكيم هو (حكميم) عند العبرانيين . وأما الحكمة ، فهي : ( حوكماه ) ( حوكمه ) Hokhmah[2] .

و ( الحكيم ) في تعريف علماء اللغة العالم وصاحب الحكمة ، المصيب برأيه ، الذي يقضي على شيء بشيء ، فيقول : هو كذا وليس بكذا . وهو الذي يحسن دقائق الصناعات ويتقنها . وقد ورد في الحديث : إن من الشعر لحكماً ، أي إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهى عنهما ، قيل أراد به المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس . ويروى إن من الشعر لحكمة . وقد سمّى الأعشى قصيدته المحكمة حكيمة ، أي ذات حكمة ، فقال :

وغريبة تأتي الملوك حكيمـة  قد قلتها ليقال من ذا قالها[3]

وقالوا ان من معاني : الحكيم الحاكم ، وهو القاضي ، أو هو الذي يحـكم الأشيـاء ويتقنها ، وان الحكمة : العدل ورجـل حكيم ، عدل حكيم . وان ( المُحكَم ) هو الشيخ المجرب المنسوب الى الحكمة ، ولذلك يقال للرجل اذا كان حكيماً : قـد أحكمته التجارب . والحكـيم : المتقن للأمور[4] . وفي هذه التعاريف دلالة على انهم كانوا يسمون الحكمـة بالتبصر في الأمور ، وباستقراء الحوادث ودراستها لاستخراج التجارب منها ، والحكم بموجبها ، ومن هنا أدخلوا الحكم بين الناس ، والنظر في الأحكام في جملة أمور الحكمة .

وليس هذا الرأي ، هو رأي العرب وحدهم . فقد كان هـذا الرأي معروفاً

---

١ غرائب اللغة ( ص ١٧٩ ) .
٢ Hastings, Diction., I, p. 648, A Dictionary of christ, and the Gospels, Vol., II, p. 825. ff., B.W. Anderson, understanding the old Testament, p. 467.
٣ تاج العروس ( ٨/٢٥٥ ) ، ( حكم ) .
٤ اللسان ( ١٢/١٤٠ وما بعدها ) .

عند غيرهم أيضاً. فنجد الحكماء عندهم حكاماً يحكمون في الخصومات وفي المنازعات: بفضل ما أوتوا من فطنة وصبر وذكاء وعلم ، وهي من أهم صفات الحكم . ونجد في أدب الشرق الأدنى القديم أشخاصاً مثل ( أحيقار ) الشهير ، يجمعون بين الحكم والحكمة ، وقد ضرب بهم المثل في نجاحهم في اصدار الأحكام .

والحكيم في الشرق بمنزلة الفيلسوف عند اليونان . وما ( ارسطو ) الفيلسوف اليوناني الشهير وكذلك أفلاطون ، غير حكماء في نظر الشرقيين . ولذلك ادخلوا في ( الحكماء ) . والحكيم هو مؤدب ومرشد وواعظ يعظ الناس ويرشدهم في هذه الحياة ، وهو خير مستشار في كل شيء ، لأنه بفضل ما يملكه من عقل ومن تجربة يستطيع أن يفصل بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ . ولذلك كان الحكماء هداة قومهم واساتذتهم وفلاسفتهم ، أقوالهم حكمة للناس ودرس في كيفية السير في العالم .

ولكننا لا نستطيع أن نرادف بين ( الحكمة ) وبين ( الفلسفة ) . فبين الاثنين فرق كبير في المفهوم . ولا يمكن أن نقول إن الفلسفة بالمعنى اليوناني ، هي في مفهوم ( الحكمة ) عند شعوب الشرق الأدنى . لأن بين الفيلسوف وبين (الحكيم) تباين كبير في اسلوب البحث وفي كيفية التوصل الى النتائج والمعرفة وفي مفهوم كل واحد منهما لهدف الآخر ، وفي الغاية المقصودة من كل منهما . فالغاية من الحكمة العبرة والإتعاظ والأخذ بما جاء فيها من حكم ، أي غايات عملية وتأديبية ، بينما الغاية من الفلسفة البحث عن معنى الحكمة وعما يكون وراء الطبيعة من خفايا غير مكتشفة وأسرار[1] .

وقد وردت لفظة ( الحكمة ) في القرآن الكريم[2] . وقد ذكر العلماء أن الحكمة اسم للعقل ، وإنما سمي حكمة لأنه يمنع صاحبه من الجهل[3] . فالحكمة إذن ، هي بمعنى العلم والتفقه . وهي بذلك ذات حدود واسعة ، بل لا نكاد نجد لها حدوداً معينة فاصلة ، فقد شملت أموراً كثيرة ، اطلقت على رجال اشتهروا بالحكم بين الناس ، أي بالبت فيما ينشأ بينهم من شجار وخصومة ، وأطلقت على أناس ذكر

---

١ Hastings, p. 975.

٢ وردت في مواضع متعددة من القرآن الكريم ، راجع المعجم المفهرس ( ص ٢١٣ وما بعدها ) .

٣ غريب القرآن ، للسجستاني ( ص ١١٨ ) ، ( سنة ١٩٢٤ ) .

أنهم كانوا كهاناً ، وأطلقت على جماعة عرفت بأن لها رأياً في الدين ، وأطلقت على نفر كان لهم رأي في المعالجة والتطبيب ، وأطلقت على نفر عرفوا بقراءة الكتب القديمة ، أي الكتب السماوية وغيرها مما كان عند يهود والنصارى وعند الروم والفرس ، وأطلقت على غير ذلك ، فهي إذن كما ترى ذات معان واسعة شاملة .

ويلاحظ ان القرآن الكريم ، قد أورد لفظة (الحكمة) بعد لفظة ( الكتاب ) وفي حالة العطف ، أي على هذه الصورة : ( الكتاب والحكمة ) ، واستعملها بعد لفظة (الملك) في الآية : « وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء »[1] . واستعملها مفردة كما في « يؤتي الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً »[2] ، وفي مواضع أخرى . وقد ذهب المفسرون الى ان المراد من الكتاب القرآن ، ثم اختلفوا في معنى الحكمة ، فمنهم من قال انها السنة ، ومنهم من قال المعرفة بالدين والفقه ، ومنهم من قال : الحكمة العقل في الدين ، أو الاصابة في القول والفعل ، الى غير ذلك من أقوال[3] ، تدل على ان تفسيرها بمعنى السنة والتفقه في الدين من التفسيرات التي ظهرت في الاسلام . أما معناها عند الجاهليين ، فكان بمعنى الخبرة المكتسبة من الملاحظات العميقة الى الأشياء ، أو المستخلصة من التجارب ، وبمعنى العلم والرأي الصائب. وبهذا المعنى جاءت الحكمة عند الساميين . فقد كان الحكيم عندهم العالم الذكي الفطن الذي ينظر بعين البصيرة الى أعماق الأمور بتؤدة وتبصر وأناة ، فيبدي رأيه في كل شيء في هذه الحياة ، من سياسة واقتصاد ، ومن أمور تخص السلم أو الحرب ، أو الخدع ، والحكم بين الناس . ولهذا كان الحكماء في أعلى الدرجات في مجتمعهم من ناحية الثقافة والرأي .

ويظهر من دراسة ما ورد في المؤلفات الإسلامية عن الحكمة والحكماء أن الجاهليين أرادوا بالحكمة حكايات وأمثلة فيها تعليم ووعظ للإنسان ، يقولونها ليتعظ بها في حياته وليسير على وفق هدى هذه الحكم . وهي حكم حصلت من تجارب عملية ، ومن ملاحظات وتأملات في هذه الحياة . ولهذا نسبوا الحكمة الى

---

١ البقرة ، الرقم ٢ ، الاية ٢٥١ .
٢ البقرة ، الاية ٢٦٩ .
٣ تفسير الطبري ( ١/٤٣٦ ) .

أناس مجربين أذكياء لهم صفاء ذهن وقوة ملاحظة مثـل : ( أكثم بن صيفي ) و ( قس بن ساعدة الإيادي ) وغيرهما ممن سيأتي الكلام عليهم . روي أن (عمر ابن الخطاب ) قال لكعب الأحبار وقد ذكر الشعر : « يا كعب ، هـل تجد للشعراء ذكراً في التوراة ؟ فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد اسماعيل، أناجيلهم في صدورهم ، ينطقون بالحكمة ، ويضربون الأمثـال ، لا نعلمهم إلا العرب »[1] . فالعرب هم أصحاب حكمة وأمثال عـلى رأي ( كعب الأحبار ) ان صح ان هذا القول المنسوب اليه هو من أقواله حقاً ، والأمثال باب من أبواب الحكمة ، بل تكاد تؤدي معناها عند الجاهليين ، فالحكيم عندهم هو الذي ينطق بالحكم يقرنها بالأمثال ، وبالقصص والنوادر .

وإذا بحثت عن الحكمة في العهد القديم تجدها في الأمثال ، وفي سفر أيوب، وفي نشيد الانشاد ، وفي سفر الجامعة والحكمة وفي ( سيراخ ) ، وفي حكمـة ( سليمان ) التي هي في المزامير[2] . وهي أمثال في الغالب نبعت من تجـارب أخذ العبرانيون بعضها من غيرهم ، ونبع بعض آخر من تجاربهم الخاصة ، وظهرت عندهم أمثال إنسانية عامة تخطر على بال كل إنسان ، فهي عامـة مشتركة ، لم يأخذها قوم من قوم ، وإنما هي خاطرات وتجارب تظهر لكل إنسان ، فضرب بها المثل في كل لسان .

ونحن لا نملك في هذا اليوم كتابة جاهلية ، فيها حكم من حكم الجاهليين . وكل ما ورد الينا من حكمهم مأخوذ من موارد اسلامية . ولذلك صار كلامنا على الحكمة في الجاهلية مثل كلامنا على سائر معارف الجاهليين ، ضيقاً محدوداً ، منبعه ما ورد عنها عند المسلمين .

ويظهر من بعض الحكم المنسوبة الى الجاهليين ، انها ترجع الى أصل يوناني ، حيث نجدها مدونة في كتب فلاسفتهم مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو ، مما يدل على انها دخلت الى العربية عن طريق الترجمة من اليونانية أو من السريانية، وعن طريق بلاد الشأم في الأغلب ، حيث كانت الثقافة اليونانية قد وجدت لها سبيلاً هناك ، بحكم خضوعها لليونانيين قبل الميلاد وبعد الميلاد ، وبحكم وجود جاليات يونانية كبيرة هناك .

---

١ العمدة ( ص ٢٥ ) ، القاهرة ١٩٦٣ م .
٢ Hastings, p. 975.

ويظهر من دراسة بعض آخر من الحكم المنسوبة الى الجاهليين انها من أصل فارسي . ولا يستبعد أن تكون قد دخلت من الأدب الفارسي القديم الى عرب العراق ، وقد عاشوا قبل الاسلام في اتصال وثيق مع الفرس. وكان بعض العرب قد أتقنوا الفارسية وأجادوا فيها ، كما ان من الفرس من كان قد تعلم العربية وبرع فيها . ثم إن بين ذوقي العرب والفرس تشابه في نواح من الأدب ، ولهذا كان أثر الأدب الفارسي في الأدب العربي أكبر وأظهر من أثر الأدب اليوناني فيه.

ونجد في الحكم المنسوبة الى ( أحيقار ) ، شبهاً لها في الحكم العربية القديمة ، وترجمة أصيلة لبعض حكمه أحياناً . خذ قوله : « يا بني إذا أرسلت الحكيم في حاجة ، فلا توصه كثيراً ، لأنه يقضي حاجتك كما تريد . ولا ترسل الأحمق، بل امضِ أنت واقضِ حاجتك »[1] . ولو درست بقية حكمه ، وما ورد في الحكم المنسوبة الى الجاهلين ، ترى شبهاً كبيراً في المعنى بل وفي اللفظ في الغالب، مما يدل على أنها ترجمة أخذت من السريانية فعربت ونسبت الى الجاهليين ، أو أن الجاهليين وقفوا عليها فصاغوها بلسانهم ، فنسبت اليهم . وأكثر حكمه موجهة الى ابن اخته ( نادان ) ، حيث يعظه فيقول : « يا بني ... » .

غير أن علينا ألا ننسى ،بأن من الحكم ، ما هو عام ، يرد على خاطر أغلب الشعوب ، وعلى لب أكثر الناس ، حتى وان لم يكونوا من المثقفين الدارسين . لأنه مما يتشارك فيه العقل الإنساني ، فيكون عالمياً إنسانياً . ولهذا،فنحن لا نستطيع أن نردّه الى أحد ، ولا أن نرجعه الى مرجع معين . ولا نستطيع أن نقول ان العرب أخذوه من غيرهم ، أو أن الأعاجم أخذوه من العرب . بسبب ما ذكرته من كونه من نتاج عقل واحد ، هو القاسم المشترك بين عقول الإنسان .

واذا صح ما روي من أن ( سويداً بن الصامت ) المعروف بـ ( الكامل )، كان يملك ( مجلة لقمان ) ، وقد أراها الرسول مقدمه عليه بمكة ، وما ذكر من انها كانت في الحكمة[2] . فتكون هذه المجلة ، أو الكتاب ، أقدم شيء يصل اسمه الينا من الكتب التي تداولها أهل الجاهلية . ولم يذكر الرواة – ويا للأسف –

---

١ أغناطيوس افرام الاول برصوم ، اللؤلؤ المنثور في تأريخ العلوم والاداب السريانية (٦٧) ، ( حمص ١٩٤٣ ) ، تأريخ كلدو وآثور ( ١/١١٣ وما بعدها ) ، ( ٢/٤٠ ).

٢ الروض الانف ( ١/٢٦٥ ) .

محتويات تلك المجلة ونوع الحكم التي احتوتها .

فقد روي « ان سويد بن صامت قدم مكة حاجاً أو معتمراً ، وكان سويد انما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشرفه ونسبه ... فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سمع به ، فدعاه الى الله والاسلام ، فقال له سويد : فلعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما الذي معك ؟ قال : مجلة لقمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعرضها عليّ ، فعرضها عليه ، فقال له : إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله عليّ ، هو هدى ونور . فتلا عليه رسول الله القرآن ، ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه . وقال : إن هذا لقول حسن . ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث ان قتلته الخزرج » وكان قتله قبل يوم بعاث[1] .

والمجلة : الصحيفة فيها الحكمة ، وكل كتاب عند العرب مجلة[2] ، وقيل : « كل كتاب حكمة عند العرب مجلة » . قال النابغة :

مجلتهم ذات الإلـه ودينهم  قويم فما يرجون غير العواقب[3]

وبالنظر الى اشتهار لقمان في الأدب العربي بالحكمة عن طريق ضرب الأمثال . ونظراً لظهور أمثال كثيرة في الإسلام نسبت اليه ، فإن من المحتمل أن تكون تلك المجلة التي زعم أنها كانت عند (سويد) مجموعة من حكم وأمثال . لا ندري من جمعها فنسبها اليه ، لعدم اشارة أهل الأخبار الى ذلك ، ولا يستبعد أن تكون هذه الأمثال من الأمثال المنتزعة من التوراة أو من الإنجيل أو من كليهما ، فدوّنت في مجلة أي في كراسة أو كتاب فنسبها أهل الأخبار اليه . نظراً لما جاء في القرآن الكريم من نسبة الحكمة اليه . وقد تكون تلك المجلة من حكم الحكيم (أحيقار) ، الحكيم الشهير صاحب الأمثال الذي كان مقرباً الى الملك (سنحاريب) ومستشاراً له . فله في أدب ( بني إرم ) ذكر خاص ، وله أمثال في الإرمية طبعت وترجمت الى جملة لغات . وعرفت أمثاله في العربية كذلك ، في أيام

---

١ ابن هشام ، سيرة ( ١/٢٦٥ وما بعدها ) ، ( حاشية على الروض ) ، الفائق (١/٢٠٦)

٢ تاج العروس ( ٧/٢٦١ ) ، ( جلل ) .

٣ الفائق ( ١/٢٠٦ ) .

الجاهلية ، فأشار ( عدي بن زيد العبادي ) اليه والى قصته [1] .

ولقمان : شخصية ذكرت في القرآن ، وفي القرآن الكريم سورة سميت باسمه . وورود في كتاب الله ، دليل على وقوف الجاهليين بقصصه وشيوع خبره وأمره بينهم . ونجد في كتب التفسير والأدب والأخبار وكتب المعمرين قصصاً عنه [2] . وقد عرف بـ ( لقمان الحكيم ) . وقد بحث عنه المستشرقون ، وحاولوا تحليل القصص الوارد عنه وإرجاعه الى أصوله . وقد بحث في ذلك المحدثون في مصر وفي غير مصر من البلاد العربية [3] .

قال (الجاحظ) : « وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر لقيم بن لقمان في النباهة والقدر ، وفي العلم والحكم ، وفي اللسان والحلم . وهذان غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المفسرون . ولارتفاع قدره وعظيم شأنه ، قال النمر بن ثولب :

لُقيم بن لقمان من أخته  فكان ابن أخت له وابنا
ليالي حمق فاستحضنت  عليه فغُرّ بها مظلما
فغرّ بها رجل محكم  فجاءت به رجلاً محكما [4]

وقد أشار ( المسيب بن علس ) الى ( لقمان ) في شعره [5] ، كما ذكره ( لبيد ابن ربيعة ) الجعفري في شعره كذلك [6] ، وأشار اليه ( يزيد بن الصعق ) الكلابي في شعر هو :

---

١ الحماسة ، لنبحتري ، (٨٦) ، ( بيروت ١٩١٠ م ) .
٢ « لقمان بن عاد » ، مجمع الامثال ( ١/٣٠٣ ) .
٣ فجر الاسلام ( ١/٧٨ وما بعدها ) ، الدكتور عبد المجيد عابدين ، الامثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها في الاداب السامية الاخرى ( ص ٤٣ وما بعدها ) ، مجمع الامثال ، للميداني ( ١/٣٧ ) .
٤ البيان والتبيين ( ١/١٨٤ ) .
٥ البيان والتبيين ( ١/١٨٨ ) .
٦ البيان والتبيين ( ١/١٨٩ ) .

اذا ما مات ميت من تميم  فسرّك أن يعيش فجيء بزادِ
بخبز أو بلحم أو بتمرٍ  أو الشيء الملفّف في البجاد
تراه يطوف الآفاق حرصاً  ليأكل رأس لقمان بن عادِ

وقيل إن هذا الشعر هو لأبي مهوش الفقعسي[1] .

وورد ذكر ( لقمان ) في شعر ( أفنون ) التغلبي[2] ، وفي شعر ( سا ربيعة بن دباب بن عامر بن ثعلبة )[3] ، وفي شعر شعراء آخرين .

وعرف لقمان عند الجاهليين كذلك بالنباهة والذكاء وبالعلم وبقوة اللسان وبخلال أخرى يرون أنها من سجايا الحكماء ، حتى زعم أن أختاً له ، مُحَمَّقة ، تحايلت عليه ، فاتصلت به اتصال الزوجات ، طمعاً في الحصو ولد ذكي حكيم منه يكون على شاكلته ، فأحبلها بولد عرف بـ ( لقيم ) في شعر ينسب الى النمر بن تولب.ولأهل الأخبار قصص عنه وعن أخت له

وذكر ( الجاحظ ) أن ( لقمان ) قتل ابنته ، وهي صحر أخت لقيم ، و حين قتلها : ألست امرأة ! وذلك أنه كان قد تزوّج عدة نساء ، كلهن في أنفسهن ، فلما قتل أخراهن ونزل من الجبل ، كان أول من تلقاه صحر فوثب عليها فقتلها[5] وقال : وأنت أيضاً امرأة ! وللجاحظ قصص عنه[6] .

وفي سورة ( لقمان ) ، « ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكر لله ، و يشكر فإنما يشكر لنفسه ، ومن كفر فإن الله غني حميد . وإذ قال لابنه ، وهو يعظه : يا بني لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم »[7] . إذن حكيم من الحكماء ، وهب الحكمة وصواب الرأي . له ولد وعظه ونه

---

١ المرزباني ، معجم (٤٨٠) ، البيان والتبيين ( ١/١٩٠ ) ، الخزانة ( ٣/٢٩ الاقتضاب (٣٨٨) ، العقد الفريد ( ٣/١٤٢ ) .
٢ البيان والتبيين ( ١/١٩٠ ) .
٣ المصدر نفسه ( ١/١٩٠ ) .
٤ بلوغ الارب ( ٣/٢١٢ وما بعدها ) .
٥ الحيوان ( ١/٢١ ) .
٦ المحاسن والاضداد (١٣٣) .
٧ الاية ١٣ وما بعدها .

وفي كتب قصص الأنبياء وكتب الأخبار والأدب وصايا للقمان ، وعظ بها ابنه ، وأدبه ، هي قطع في التأديب وفي قواعد السلوك[1] .

وفي جملة ما رواه أهل الأخبار من حكمه ان مولاه قال له يوماً « اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها . قال : أخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب . ثم مكث ما شاء الله ، ثم قال : اذبح لنا هذه الشاة ، فذبحها . فقال : اخرج أخبث مضغتين فيها ، فأخرج اللسان والقلب . فقال له مولاه : أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها ، فأخرجتها ، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتها. فقال له لقمان : انه ليس من شيء أطيب منهما اذا طابا ، ولا أخبث منهما اذا خبثا »[2] .

وقد ذكر أهل الأخبار امرأة يقال لها : ( صحر بنت لقمان ) ، قالوا : انها اشتهرت بالعقل والكمال والفصاحة والحكمة ، وان العرب كانت تتحاكم عندها فيما ينوبهم من المشاجرات في الأنساب وغيرها . وقالوا انها كانت ابنة لقمان ، ومنهم من زعم انها اخته لا ابنته[3].

وذكر أهل الأخبار أن ( لقمان ) هو ممن آمن بـ (هود) ، وأما لقمان المذكور في القرآن ، فهو غيره . وكان لقمان القرآن ابن أخت أيوب ، او ابن خالته ، وقيل كان من ولد (آزر ) ، وأدرك داوود وأخذ منه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داوود ، فلما بُعث قطع الفتوى ، وكان قاضياً في بني اسرائيل ، وكان حكيما ولم يكن نبياً . وورد أنه كان راعياً أسود ، فرزقه الله العتق ، وقيل : كان أسود من سودان مصر خيّاطاً ، وقيل كان نجاراً[4] . وذكر ( الجاحظ ) : أن ( لقمان ) من السودان ، وهو الذي يقول : ثلاثة لا تعرفهم إلا عند ثلاثة : الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الخوف ، والأخ عند حاجتك .

وقال لابنه : إذا أردت أن تخالط رجلاً فأغضبه قبل ذلك ، فإن أنصفك وإلا فأحذره .

---

١ العقد الفريد ( ٣/١٥٢ ) .
٢ تفسير الطبري ( ٢١/٤٣ وما بعدها ) .
٣ بلوغ الارب ( ١/٣٤٢ ) .
٤ الخزانة ( ٢/٧٨ ) ، ( بولاق ) .

ولم يرووا ذلك عنـــه إلا وله أشياء كثيرة . وأكثر من هـذا مدح الله إياه وتسميته الحكيم ، وما أوصى به ابنه »[1] .

ويشبه قصص ( لقمان ) وما يضرب على لسانه من أمثال ، قصص ( ايسوب ) عند الأوروبيين . وهو الباحث عن الحكمة عن طريق ضرب الأمثال وقول الألغاز والقصص[2] . وقد رأى بعض الباحثين أن لأمثال لقمان وحكمه صلة بـ (احيقار) . وذهب بعض المستشرقين الى وجود صلة بين لقمان وبين بعض الشخصيات القديمة التي يرد اسمها في الأدب القديم مثـــل Prometheus و Alkmaion و Lucian و ( سليمان ) ، وبلعام .

وقد ضرب ( أبو الطمحان حنظلة بن الشرقي القيني ) المثل بتشتت حي لقمان، وبتفوقهم أفراقاً اذ يقول :

أمست بنو القين أفراقاً موزعة  كأنهم من بقايا حي لقمان[3]

وقد اشتهر (سليمان) عند العرب بالحكمة أيضاً ، فعرف عندهم بـ ( سليمان الحكيم ) ، وقد أشير اليه في القـــرآن الكريم . وكان اليهود والنصارى هم نقلة أخبار هذه الحكمة الى الوثنيين . وكان يهود المدينة مصدر هذه الأخبار بالدرجة الأولى ، فقد كانوا بحكم اختلاطهم بأهل يثرب قد أذاعوا بينهم قصصاً اسرائيلياً، ومنه قصص داوود وسليمان .

و ( سليمان ) أحكم الحكماء عند اليهود . يذكرون « ان حكمته فاقت حكمة جميع العلماء في عصره . وكان أحكم من جميع الناس »[4] . ويذكرون انه ألّف الأمثال . ونطق بثلاثة آلاف مثل ، وألف خمس نشائد[5] . ووضع نشيد الأنشاد والجامعة . وذاعت حكمة سليمان وانتشر خبرها في كـل الأنحاء بحيث أتى أناس من الأباعد ليشاهدوها وكانوا يمتحنونه بمسائل عسرة[6] ، في جملتهم ملكة سبأ

---

١ رسائل الجاحظ ( ١/١٧٩ ) ، ( فخر السودان على البيضان ) .
٢ Shorter Ency., p. 290.
٣ البيان ( ١/٨٨٧ وما بعدها ) ، الخزانة ( ٣/٤٢٦ ) .
٤ قاموس الكتاب المقدس ( ١/٥٧٩ )، ( سليمان ) .
٥ الملوك الاول ، الاصحاح الرابع ، الاية ٣٢ .
٦ الايام الثاني ، الاصحاح التاسع ، الاية ٦ ، قاموس الكتاب المقدس ( ١/٥٧٩ ) ، ( سليمان ) .

التي سمعت بحكمته فجاءت تمتحنه كما جاء ذلك في التوراة .

وتقترن لفظة ( مجلة ) عادة بالحكمة . قال علماء العربية : « والمجلة ، بفتح الميم ، الصحيفة فيها الحكمة »[1] ، وقد تتألف من ( صحف) . و ( الصحيفة ) الكتاب . وذكر علماء اللغة ان « الوضيعة : كتاب تكتب فيه الحكمة .. وفي الحديث انه نبي وان اسمه وصورته في الوضائع »[2] .

وقد ذكر أهل الأخبار أن ( قيس بن نشبة ) ، كان منجماً متفلسفاً في الجاهلية . وهو ممن أدرك أيام الرسول[3] . وذكر أنه من ( بني سُلَيم ) ، وانه كان يعرف الرومية والفارسية ويقول الشعر[4] . وانه جاء الى الرسول « بعد الخندق فقال : إني رسول من ورائي من قومي ، وهم لي مطيعون وإني سائلك عن مسائل لا يعلمها إلا من يوحى اليه ! فسأله عن السموات السبع وسكانها وما طعامهم وما شرابهم ، فذكر له السموات السبع والملائكة وعبادتهم ، وذكر له الأرض وما فيها فأسلم ورجع الى قومه ، فقال : يا بني سليم ! قد سمعت ترجمة الروم وفارس وأشعار العرب والكهان ومقاول حمير ، وما كلام محمد يشبه شيئاً من كلامهم فأطيعوني في محمد فإنكم أخواله فإن ظفر تنتفعوا به وتسعدوا وإن تكن الأخرى ، فإن العرب لا تقدم عليكم . فقد دخلت عليه وقلبي عليه أقسى من الحجر ، فما برحت حتى لان بكلامه . وقيل عنه إنه كان يتأله في الجاهلية وينظر في الكتب ، فجاء الى الرسول لما سمع به ، وسأله ، فآمن به . ولعلمه سماه رسول الله : ( حبر بني سُلَيم ) ، وكان إذا افتقده يقول : يا بني سليم أين حبركم . وهو عم الشاعر العباس بن مرداس ، أو ابن عمه . ولما أسلم قال قال هذه الأبيات :

تابعت دين محمد ورضيته ... كل الرضا لأمانتي ولديني
ذاك امرؤ نازعته قول العدا ... وعقدت فيه يمينه بيميني
قد كنت آمله وانظر دهره ... فالله قدر أنه يهديني
أعني ابن آمنة الأمين ومن به ... أرجو السلامة من عذاب الهون

---

١ تاج العروس ( ٧/٢٦١ ) ، ( جلل ) .
٢ تاج العروس ( ٥/٥٤٥ ) ، ( وضع ) .
٣ تاج العروس ( ٨/٩٥ ) ، ( كحل ) .
٤ البلدان ( ٢/٢٥٠ ) .

وذكر أنه كان قد قدم مكة في الجاهلية فباع إبلاً له فلواه المشتري حقه ، فكان يقوم فيقول :

يا آل فهر كنت في هذا الحرم في حرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم لا يمنع مني من ظلم

فسمع به عباس بن مرداس ، فكتب اليه أبياتاً منها :

وائت البيوت وكن من أهلها وداً تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا

فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه . وقال : أنا لك جار ما دخلت مكة ، فكانت بينه وبين بني هاشم مودة [1] .

وذكر ان ( أبا العاصي بن أمية بن عبد شمس ) ، كان حكيماً . وقد عدّ من حكماء قريش وشعرائهم [2] . كما ذكر ان ( الحكم بن سعيد بن العاص بن أمية ) الأموي ، وكان من الكتّاب بمكة في الجاهلية ، والذي علم الكتابة بالمدينة بأمر الرسول ، كان يعلم الحكمة [3] . وذكر ( ابن حبيب ) ، ان ( الحكم بن سعيد ) كان من أمراء الرسول ( على قرى عربية ) [4] ، وذكر أيضاً ان الرسول سمّاه ( عبدالله وجعله يعلّم الحكمة ) ، وقد استشهد يوم مؤتة [5] .

ويظهر ان الحكمة المنسوبة الى ( قيس بن نشبة ) ، أو الى ( الحكم بن سعيد ) كانت نوعاً من العلوم التي يدرسها الفلاسفة والحكماء في ذلك الوقت ، أي علوماً يونانية ، وتأملات وملاحظات عن هذا العالم ، فهي دراسة منظمة تختلف في طرازها عن الحكمة القائمة على القصص وضرب الأمثال . وقد تكون قد أخذت من الكتب اليونانية أو السريانية ، أو الفارسية ، فقد رأينا أهل الأخبار يذكرون ان ( قيس بن نشبة ) كان يعرف الرومية والفارسية ، كما ذكروا مثل ذلك عن النضر بن حارث بن كلدة وعن الأحناف ، وأنا لا أستبعد احتمال ذلك ، لأن

---

١ الاصابة ( ٣/٢٤٩ وما بعدها ) ، ( رقم ٧٢٤٤ ) .
٢ كتاب نسب قريش (٩٩) ، المعارف (٧٣) .
٣ الاصابة ( ١/٣٤٣ وما بعدها ) ، ( رقم ١٧٧٧ ) .
٤ المحبر (١٢٦) .
٥ المحبر (٤٦٠) .

بعضهم كان قد وصل العراق وبلاد الشأم وخالط الأعاجم، كما كان من الأعاجم من سكن مكة والقرى العربية الأخرى لأغراض مختلفة ، ومنهم من كان على فقه بعلوم قومه ، ومعرفة علمية بلغتهم ، فلا يستبعد اذن تعلم من كان فيه ميل من العرب الى العلم والثقافة،العلم والفلسفة والنظر من تلك البلاد التي زاروها ، ومن هؤلاء .

وذكر ان ( النضير بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف ) العبدري القرشي كان من حكماء قريش . وقد استشهد يوم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة. وكان أخوه ( النضر بن الحارث ) ، شديد العداوة للرسول ، فقتله علي يوم بدر كافراً ، قتله بالصفراء[1] .

وروى ( عُمران بن حصين ) ، ( عمران بن الحصين ) ، حديثاً عن رسول الله ، هو : « الحياء لا يأتي إلا بخير » ، فقال « بشير بن كعب ، وكان قد قرأ الكتب : إن في الحكمة : أن منه ضعفاً . فغضب عمران ، وقال : أحدثك بما سمعت من النبي ، وتحدثني عن صحفك هذه الخبيثة »[2] . ويظهر ان (بشيراً) هذا كان ممن طالع كتب أهل الكتاب ووقف على الحكمة .

وقد ذكر الأخباريون أسماء أناس آخرين عرفوا بالحكمة كذلك ، مثل : أكثم بن صيفي التميمي ، من رؤساء تميم ومن (حكام العرب)[3] . ويلاحظ أن الأخباريين يخلطون في الغالب بين الحكيم والحاكم ، فيجعلون (حكّام العرب ) من ( حكماء العرب ) ويذكرون أحكامهم في باب الحكم . كذلك نسبوا معظم خطباء الجاهلية الى الحكمة كذلك ، مما يدل على أن للحكمة عند الأخباريين معنى واسعاً ، يشمل كل ما فيه عظة وتعليمٌ . وقد كان العبرانيون وبقية الساميين يجعلون الحكام من طبقة الحكماء ، لأن الحاكم لا بد وان يكون حكيماً ، أي مدركاً فطناً نافذاً الى بواطن الأمور ، يحكم عن عقل ناضج وعن رأي مصيب ، فهم أولى وأقدر على ابداء الأحكام الصحيحة من غيرهم ، ولهذا نجد ارتباطاً كبيراً في المعنى وفي اللفظ بين لفظتي حاكم وحكيم .

---

١ الاستيعاب ( ٣/٥٣٥ وما بعدها ) ، الاصابة ( ٣/٥٢٥ ) ، ( رقم ٨٧١٣ ) .
٢ مصادر الشعر الجاهلي ( ١٦٨ وما بعدها ) .
٣ بلوغ الارب ( ٣/١٧٢ وما بعدها ) .

ومن حكام العرب الذين ذكرهم أهل الأخبار ، ونسبوا اليهم الحكم والاصابة في الرأي وصدق الأحكام ( عامر بن الظرب العدواني ) حكيم قيس، وقد عدوه ( من حكماء العرب ، لا تعدل بفهمه فهماً ولا بحكمه حكماً ) . وقالوا : انه هو المراد في قول العرب : « إن العصا قُرعت لذي الحلم » . أما ( ربيعة ) ، فتقول : انه ( قيس بن خالد بن ذي الجدّين ) . وأما تميم ، فتنسب هذا الفخر الى رجل منها هو ( ربيعة بن مخاشن أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ) . وأما اليمن ، فتقول : انه ( عمرو بن حممة الدوسي ) ، ويذكر بعض آخر انه ( عمرو بن مالك بن ضبيعة ، أخو سعد بن مالك الكناني )[1] .

وفي كتاب ( العقد الفريد ) ، قصة اجتماع وقع بين عامر بن الظرب العدواني وحممة بن رافع الدوسي وبين ملك من ملوك حمير ، ورد فيها : أن الملك قال لهما : تساءلا ، حتى أسمع ما تقولان ؟ ودوّن رواة هذه القصة ما جرى في الاجتماع من أسئلة وأجوبة. ومدارها خاطرات عن الحياة وعن الناس وعن الأدب، بالسجع المألوف[2] . ومما جاء فيها ان أحكم الناس « من صمت فاذّكر ، ونظر فاعتبر ، ووعظ فازدجر » ، وان أجهل الناس من رأى الخُرق مغنماً ، والتجاوز مغرماً »[3] .

وذكر أنه كان قد جمع قومه ( عدوان ) ، فنصحهم بقوله : « يا معشر عدوان : الخير ألوف عروف ، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه ، وإني لم أكن حكيماً حتى صاحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم[4] . وكان كما يقول ( ابن حبيب ) ، آخر حكام العرب وقضاتهم وأئمتهم قبل انتقال الحكومة الى ( بني تميم ) بعكاظ[5] ، وروي له حكم في ( الخنثى ) ، وأيد الإسلام حكمه[6] . ورووا له شعراً في الخمر ، يقول فيه :

---

١ « ان العصا قرعت لذي الحلم » ، مجمع الامثال ( ٣٩/١ وما بعدها ) ، الامدى ، المؤتلف ( ص ١٥٤ ) .
٢ العقد الفريد ( ٢٥٥/٢ وما بعدها ) .
٣ الامالي ( ٢٧٦/٢ وما بعدها ) .
٤ الامالي ( ١٥٧/٢ ) ، البيان والتبيين ( ٤٠١/١ ) ، ( ١٩٩/٢ ) .
٥ المحبر (١٨١) .
٦ المحبر (٢٣٦) .

إن أشرب الخمر أشربها للذتها  وإن أدعها فإني ماقت قال
لولا اللذاذة والفتيان لم أرها  ولا رأتني إلا من مدى الغال
سئالة للفتى ما ليس يملكه  ذهابة بعقول القوم والمال
مورثة القوم أضغاثاً بلا احن  مزرية بالفتى ذي النجدة الحال
أقسمت بالله أسقيها وأشربها  حتى يفرق ترب القبر أوصالي[1]

وفيه يقول ذو الاصبع العدواني :

ومنّا حكم يقضي  فلا ينقضي ما يقضى[2]

ومن حكمه: « الرأي نائم ، والهوى يقظان ، فمن هنالك يغلب الهوى الرأي»[3] . وله جواب على خطاب ( صعدة بن معاوية ) حين جاء اليه يخطب ابنته[4] .

وكانت له بنت عدت من حكيمات العرب ، حتى جاوزت في ذلك مقدار ( صحر بنت لقمان ) ، و ( هند بنت الخس ) ، و ( جمعة بنت حابس بن مُليل ) الاياديين[5] .

وذكر أهل الأخبار أن من حكام تميم في الجاهلية : أكثم بن صيفي،وحاجب ابن زرارة ، والأقرع بن حابس ، وربيعة بن مخاشن ، وضمرة بن ضمرة . ويذكرون أن ( ضمرة ) حكم ، فأخذ رشوة ، فغدر . والغدر عيب كبير ، ومن أذم الصفات عند الجاهليين[6] .

وقد نسب أهل الأخبار حكماً وأمثلة لأكثم بن صيفي ، منها المثل : « مقتل الرجل بين فكّيه » يعني لسانه[7] ، ومن الأقوال المنسوبة اليه ، قوله : « تناءوا في الديار ، وتواصلوا في المزار »[8] ، وقوله : « تباعدوا في الديار تقاربوا في

---

١ المحبر (٢٣٩) .
٢ البيان والتبيين ( ١/٢٦٤ ) ، ( حاشية ٣ ) .
٣ البيان والتبيين ( ١/٢٦٤ ) .
٤ البيان ( ٢/٧٧ ) .
٥ البيان والتبيين ( ٣/٣٨ ) .
٦ مجمع الامثال ( ١/٤١ ) .
٧ خلق الانسان ( ص ١٩٥ ) .
٨ البيان والتبيين ( ٣/٢٥٥ ) .

المودة»[1]. وقد عدّ أسلوب كلامه من أرشق أساليب الفصحاء ، ومن أحكم كلام، فيه نصائح وحكم مع بلاغة متناهية وفصاحة . ونسبوا له خطباً منمقة[2] ، هو في نظري من هذا النثر المصنوع ، الذي وضع على لسانه في الاسلام .

وقد اشتهرت ( تميم ) بكثرة حكمائها[3] ، ونلاحظ ان هؤلاء الحكماء كانوا حكاماً كذلك ، يحكمون بين الناس فيما يقع بينهم من شجار . ومعنى هذا ان بين الحكمة والحُكم عند العرب الجاهليين صلة متينة . وقد رأيت ان تميماً كانت قد احتكرت لنفسها الحكومة في سوق عكاظ على ما يذكره أهل الأخبار . وهم من القبائل المتقدمة بالنسبة الى القبائل الأخرى التي كانت عند ظهور الاسلام، انتقلت اليها هذه الحكومة من ( بني عدوان ) ، الذين كان آخر حكامهم ( عامر بن الظرب ) العدواني .

وقد كان لاتصال أهل الأخبار بتميم ، دخل ولا شك في كثرة أسماء حكمائها التي وصلت الينا من خلال دراستنا لكتبهم ، فقد كان اتصالهم بها أكثر من اتصالهم بأية قبيلة أخرى ، لوجودها على مقربة من الكوفة والبصرة ، ولذلك أكثروا اللغة عنها ، حتى صرنا نعرف من أمور نحوها ولغتها ما لا نكاد نعرفه عن نحو ولغة أية قبيلة أخرى . ولرجال تميم خطب طويلة ، في الحكم ، هي تأملات وخاطرات وضعت على ألسنتهم في الاسلام ، إذ لا يعقل كما سبق أن قلت في مواضع متعددة من هذا الكتاب وصول نصوص نثر ، بهذا النوع من الضبط والتحري عن أهل الجاهلية حتى نحكم بصحة نصوص ما نسب الى حكماء تميم . نعم قد يقول قائل ، ان الشاعر ( بشر بن أبي خازم ) كان قد أشار الى ( كتاب بني تميم )[4] ، فلا يستبعد أن يكون ( بنو تميم ) قد سجلوا خطب وأشعار سادتهم فيه ، ولكني أقول إن من العلماء من نسب هذا الشعر الى ( الطرماح ابن حكيم ) وهو شاعر إسلامي ، توفي في حوالى السنة (١٠٥) ، واننا حتى لو فرضنا أن ذلك الشعر هو للطرماح ، وأنه يدل على وجود كتاب قديم عند

---

١ البيان ( ٢/٧٠ ) .

٢ بلوغ الارب ( ٣/١٧٢ ) .

٣ Goldziher, History of classical Arabic Literature, p. 7.

٤ المفضليات (٩٨) ، الامثال ، للميداني ( ١/١٣٧ ) ، العسكري ، جمهرة الامثال (٢٨٩) .

( بني تميم ) ، فإننا لا نستطيع ان نأخذ بالظن ، ونقول بصحة مثل هذه الخطب المنسوبة الى خطباء وحكماء تميم لمجرد وجود اشارة الى كتـــاب عندهم لا نعرف من أمره شيئاً ، غير اشارة الى اسمه وردت في شعر ، لا ندري مبلغ درجتـــه من الصحة والاصالة .

وممن نسبت اليه الحكمة ( الأفوه الأودي ) ، وهو شاعر اسمه ( صلاءة بن عمرو ) من (أود) . وله قصيدة دالية ، فيها رأيه في الحكم وفي الناس وفي الخير والشر[1] . وذكر انه هو القائل :

ملكنا ملك لقاح أول  وأبونا من بني أود خيار[2]

والعادة أن تنسب الحكم الى المسنين ، وقلما نجد حكماً صادرة من شبان وأحداث وذلك ان العقل لا يكتمل إلا بتكامل العمر وبتقدم الانسان في السن ، وبتقدمه في السن تزيد تجاربه واختباراته في هذه الحياة ، فيكون عندئذ أهلاً للنطق بالحكمة . ولم يكتف أهل الأخبار ببلوغ الحكماء سن الشيخوخة الطبيعية ، بل صيروا عمـــر معظم المعمرين فوق المئة ، بل جعلوها مئات . وعمر مثل هذا كفيل بأن يكون مصدراً للحكم والأمثال . ونجد في ( كتاب المعمرين من العرب ) للسجستاني أمثلة من عمر هؤلاء الحكماء .

---

١ الاغاني ( ١١/٤٤ ) ، الشعر والشعراء (١١٠) ، ديوانـــه ، الامالـــي ، للقالـــي ( ٢/٢٢٨ ) ، تأريخ آداب اللغة العربية ، لزيدان ( ١/١٣٤ وما بعدها ) .

٢ تاج العروس ( ٢/٢٩٢ ) ، ( أود ) .